دانشگاه پیام نور

تحليل النظم والنثر من العصر الجاهلي حتّى نهاية العصر الأموي

الدكتور قادر قادري الدكتور محمدرضا ميرزانيا

امروز کتابخوانی و علم‌آموزی نه تنها یک وظیفه‌ی ملی، که یک واجب دینی است[1].

مقام معظم رهبری

در عصر حاضر یکی از شاخصه‌های ارزیابی رشد، توسعه و پیشرفت فرهنگی هر کشوری میزان تولید کتاب، مطالعه و کتاب‌خوانی مردم آن مرز و بوم است. ایران اسلامی نیز از دیرباز تاکنون با داشتن تمدنی چندهزارساله و مراکز متعدد علمی، فرهنگی، کتابخانه‌های معتبر، علما و دانشمندان بزرگ با آثار ارزشمند تاریخی، سرآمد دولت‌ها و ملت‌های دیگر بوده و در عرصه فرهنگ و تمدن جهانی به‌سان خورشیدی تابناک همچنان می‌درخشد و با فرزندان نیک‌نهاد خویش هنرنمایی می‌کند. چه کسی است که در دنیا با دانشمندان فرزانه و نام‌آور ایرانی همچون ابوعلی سینا، ابوریحان بیرونی، فارابی، خوارزمی و ... همچنین شاعران برجسته‌ای نظیر فردوسی، سعدی، مولوی، حافظ و ... آشنا نباشد و در مقابل عظمت آنها سر تعظیم فرود نیاورد. تمامی این افتخارات ارزشمند، برگرفته از میزان عشق و علاقه فراوان ملت ما به فراگیری علم و دانش از طریق خواندن و مطالعه منابع و کتاب‌های گوناگون است. به شکرانه الهی، تاریخ و گذشته ما، همیشه درخشان و پربار است. ولی اکنون در این زمینه در چه جایگاهی قرار داریم؟ آمار و ارقام ارائه‌شده از سوی مجامع و سازمان‌های فرهنگی در مورد سرانه مطالعه هر ایرانی، برایمان چندان امیدوارکننده نمی‌باشد.

کتاب، دروازه‌ای به سوی گستره دانش و معرفت است و کتاب خوب، یکی از بهترین ابزارهای کمال بشری است. همه دستاوردهای بشر در سراسر عمر جهان، تا آنجا که قابل کتابت بوده است، در میان دست‌نوشته‌هایی است که انسان‌ها پدید آورده و می‌آورند. در این مجموعه بی‌نظیر، تعالیم الهی، درس‌های پیامبران به بشر، و همچنین علوم مختلفی است که سعادت بشر بدون آگاهی از آن‌ها امکان‌پذیر نیست. کسی که با دنیای زیبا و زندگی‌بخش کتاب ارتباط ندارد بی‌شک از مهم‌ترین دستاورد انسانی و نیز از بیشترین معارف الهی و بشری محروم است. با این دیدگاه، به‌روشنی می‌توان ارزش و مفهوم رمزی عمیق در این حقیقت تاریخی را دریافت که اولین خطاب خداوند متعال به پیامبر گرامی اسلام(ص) این است که »بخوان!« و در اولین سوره‌ای که بر آن فرستاده عظیم‌الشأن خداوند، فرود آمده، نام «قلم» به تجلیل یاد

1. https://farsi.khamenei.ir/message-content?id=2696

شده‌است: «إقْرَأ وَ رَبُّکَ الْاَکْرَمُ. اَلَّذی عَلَّمَ بِالْقَلَم» در اهمیت عنصر کتاب برای تکامل جامعه انسانی، همین بس که تمامی ادیان آسمانی و رجال بزرگ تاریخ بشری، از طریق کتاب جاودانه مانده‌اند.

دانشگاه پیام‌نور با گستره جغرافیایی ایران‌شمول خود با هدف آموزش برای همه، همه‌جا و همه‌وقت، به‌عنوان دانشگاهی کتاب‌محور در نظام آموزش عالی کشورمان، افتخار دارد جایگاه اندیشه‌سازی و خردورزی بخش عظیمی از جوانان جویای علم این مرز و بوم باشد. تلاش فراوانی در ایام طولانی فعالیت این دانشگاه انجام پذیرفته تا با بهره‌گیری از تجربه‌های گرانقدر استادان و صاحب‌نظران برجسته کشورمان، کتاب‌ها و منابع آموزشی درسی شاخص و خودآموز تولید شود. در آینده هم، این مهم با هدف ارتقای سطح علمی، روزآمدی و توجه بیشتر به نیازهای مخاطبان دانشگاه پیام‌نور با جدیت ادامه خواهد داشت. به‌طور قطع استفاده از نظرات استادان، صاحب‌نظران و دانشجویان محترم، ما را در انجام این وظیفه مهم و خطیر یاری‌رسان خواهد بود. پیشاپیش از تمامی عزیزانی که با نقد، تصحیح و پیشنهادهای خود ما را در انجام این وظیفه خطیر یاری می‌رسانند، سپاسگزاری می‌نماییم. لازم است از تمامی اندیشمندانی که تاکنون دانشگاه پیام‌نور را منزلگه اندیشه‌سازی خود دانسته و ما را در تولید کتاب و محتوای آموزشی درسی یاری نموده‌اند، صمیمانه قدردانی گردد. موفقیت و بهروزی تمامی دانشجویان و دانش‌پژوهان عزیز آرزوی همیشگی ما است.

دانشگاه پیام‌نور

الفهرست

المقدمة **الواحد عشر**
تمهيد **الخامس عشر**

الفصل الأول: الشعر والشعراء في العصر الجاهلي **١**
الأهداف المنشودة ١
١-١ الشعراء الصعاليک ١
١-١-١ الشنفرى ٢
الشرح والتحليل ٥
أسئلة ٩
١-٢ أصحاب المعلقات ١٠
١-٢-١ معلّقة امرؤ القيس ومناسبتها ١١
الشرح والتحليل ١٣
أسئلة ١٩
١-٢-٢ معلّقة طرفة بن العبد ومناسبتها ٢٠
الشرح والتحليل ٢٣
أسئلة ٢٩
١-٢-٣ معلّقة زهير بن أبي سلمى ومناسبتها ٣٠
الشرح والتحليل ٣٢
أسئلة ٣٨
١-٢-٤ معلّقة لبيد بن ربيعة ومناسبتها ٣٩
الشرح والتحليل ٤٢
أسئلة ٤٧
١-٢-٥ معلّقة عمرو بن كلثوم ومناسبتها ٤٨
الشرح والتحليل ٥١
أسئلة ٥٥
١-٢-٦ معلّقة عنترة بن شدّاد ومناسبتها ٥٦

الشرح والتحليل ٥٨
أسئلة ٦٤
١-٢-٧ معلّقة حارث بن حلّزة ومناسبتها ٦٥
الشرح والتحليل ٦٧
أسئلة ٧٢
١-٣ شعراء جاهليون آخرون ٧٣
١-٣-١ قصيدة عبيد بن الأبرص ومناسبتها ٧٣
الشرح والتحليل ٧٤
أسئلة ٧٧
١-٣-٢ قصيدة النابغة الذبياني ومناسبتها ٧٨
الشرح والتحليل ٨٠
أسئلة ٨٣
١-٣-٣ قصيدة الأعشى الأكبر (مديحة النبيّ) ومناسبتها ٨٤
الشرح والتحليل ٨٥
أسئلة ٨٨
١-٣-٤ قصيدة عدىُّ بن زيد ومناسبتها ٨٩
الشرح والتحليل ٩١
أسئلة ٩٤
١-٣-٥ حاتم الطائي ٩٥
الشرح والتحليل ٩٧
أسئلة ٩٩
١-٣-٦ لامية سمَوئَل بن عادياء ومناسبتها ١٠٠
الشرح والتحليل ١٠٢
أسئلة ١٠٥
١-٣-٧ علقمة الفحل وقصيدة مدح الحارث الغسّاني ومناسبتها ١٠٦
الشرح والتحليل ١٠٨
أسئلة ١١١
١-٣-٨ دُريد بن صمّة وقصيدة: رثاء عبدالله ومناسبتها ١١٢
الشرح والتحليل ١١٣
أسئلة ١١٦

الفصل الثاني: النثر الفني في العصر الجاهلي ١١٧
الأهداف المنشودة ١١٧
٢-١ النثر الفني في العصر الجاهلي، قضاياه وأغراضه ١١٧
٢-١-١ الجاهلية، مفهومها وزمنها ١١٧
أسئلة للتأمل والمناقشة ١٢٤
٢-١-٢ قضية الشكّ في النثر الجاهلي والأنواع الأدبية النثرية في الجاهلية وتطوُّرُها على مرِّ العصور ١٢٥
أسئلة للتأمل والمناقشة ١٣٤
٢-٢ أنواع النثر الفني في العصر الجاهلي ونماذجه ١٣٤

٢-٢-١ الأمثال والحِكَم الجاهلية ١٣٤
أسئلة للتأمل والمناقشة ١٤٣
٢-٢-٢ سجعُ الكُهّان ١٤٤
أسئلة للتأمل والمناقشة ١٤٨
٢-٢-٣ الخطابة الجاهلية وأنواعها ١٤٩
أسئلة للتأمل والمناقشة ١٦٤
٢-٢-٤ الوصايا الجاهلية ١٦٤
أسئلة للتأمل والمناقشة ١٦٩
٢-٢-٥ الرسائل الترسلية، العهود والمواثيق الجاهلية ١٦٩
أسئلة للتأمل والمناقشة ١٧٢

الفصل الثالث: الشعر والشعراء في العصر الإسلامي ١٧٣
الأهداف المنشودة ١٧٣
تمهيد ١٧٣
٣-١ كعب بن زهير ١٧٦
٣-١-١ قصيدة بانت سعاد ومناسبتها ١٧٧
الشرح والتحليل ١٧٨
أسئلة ١٨٢
٣-٢ حسّان بن ثابت ١٨٣
٣-٢-١ قصيدته في فتح مكّة ومناسبتها ١٨٤
الشرح والتحليل ١٨٥
أسئلة ١٨٨
٣-٣ الخنساء ١٨٩
٣-٣-١ قصيدته فى رثاء صخر ومناسبتها ١٨٩
الشرح والتحليل ١٩٠
أسئلة ١٩٢
٣-٤ الحُطيئة ١٩٣
٣-٤-١ قصيدة ضيافة البدوية ومناسبتها ١٩٤
الشرح والتحليل ١٩٥
أسئلة ١٩٨

الفصل الرابع: النثر الفني في العصر الإسلامي ونماذجه ٢٠١
الأهداف المنشودة ٢٠١
٤-١ النثر الفني في صدر الإسلام؛ تطوراته وقضاياه ٢٠١
٤-١-١ النثر في صدر الإسلام ٢٠١
التمهيد ٢٠١
٤-١-٢ النثر الفني في عهد النبوة ٢٠٢
٤-١-٣ الخطابة ٢٠٢
٤-١-٤ الكتابة ٢٠٣
أسئلة للتأمل والمناقشة ٢٠٤

٤-٢ تطور الأغراض النثرية في صدر الإسلام ٢٠٤
٤-٢-١ نماذج من الخطابة الإسلامية ٢٠٦
٤-٢-٢ الرسائل ٢٠٧
٤-٢-٣ نماذج من الرسائل الإسلامية ٢٠٨
أسئلة للتأمل والمناقشة ٢١٠

الفصل الخامس: أنواع النثر الفني في صدر الإسلام ونماذجه ٢١١
الأهداف المنشودة ٢١١
٥-١ القرآن الكريم وقيمته الأدبية ٢١١
٥-١-١ أثر القرآن الكريم في اللغة والأدب ٢١٢
٥-١-٢ السمات الفنية العامة لنثر القرآن الكريم ٢١٣
٥-١-٣ عبارات من القرآن الكريم جرت مجري الأمثال والحكم ٢١٤
أسئلة للتأمل والمناقشة ٢١٦
٥-٢ الحديث النبويُّ وقيمته الأدبية ٢١٦
٥-٢-١ الخصائص الفنية للحديث النبوي ٢١٧
٥-٢-٢ نماذج من الحديث النبوي الشريف ٢١٩
٥-٢-٣ أحاديث نبوية جرت مجري الأمثال والحكم ٢٢٠
أسئلة للتأمل والمناقشة ٢٢٤
٥-٣ الخطابة في صدر الإسلام ٢٢٤
٥-٣-١ تأثير الإسلام في الخطابة العربية ٢٢٥
٥-٣-٢ أغراض الخطابة الإسلامية ٢٢٦
٥-٣-٣ الملامح الفنية العامة للخطابة في صدر الإسلام ٢٢٧
٥-٣-٤ خطابة الرسول (ص) وقيمتها الأدبية ٢٢٨
٥-٣-٥ الميزات الفنيّة لخطب النبي (ص) ٢٢٩
٥-٣-٦ نماذج من خطب صدر الإسلام ٢٢٩
أسئلة للتأمل والمناقشة ٢٣٩
٥-٤ الوصايا في صدر الإسلام ٢٣٩
٥-٤-١ نماذج من وصايا صدر الإسلام ٢٤٠
أسئلة للتأمل والمناقشة ٢٤٤
٥-٥ الخصائص الفنية العامة للرسائل الترسلية في صدر الإسلام ٢٤٤
٥-٥-١ نماذج من الرسائل الترسلية في صدر الإسلام ٢٤٦
٥-٥-٢ السمات الفنية العامة لرسائل الرسول وكتابته (ص) ٢٤٨
٥-٥-٣ نماذج من رسائل الخلفاء ٢٤٩
أسئلة للتأمل والمناقشة ٢٥٢
٥-٦ التوقيعات الإسلامية ٢٥٢
٥-٦-١ مصادر التوقيعات ٢٥٣
٥-٦-٢ الخصائص الفنية للتوقيعات الإسلامية وقيمتها الأدبية ٢٥٤
٥-٦-٣ نماذج من توقيعات الخلفاء والأمراء في صدر الإسلام ٢٥٥
أسئلة للتأمل والمناقشة ٢٥٦

٥-٧ العهود والمواثيق الإسلامية ٢٥٦
٥-٧-١ نماذج من العهود والمواثيق الإسلامية ٢٥٧
٥-٧-٢ الخصائص الفنية للعهود الإسلامية وقيمتها الأدبية ٢٦٤
أسئلة للتأمل والمناقشة ٢٦٥

الفصل السادس: الشعر والشعراء في العصر الأموي ٢٦٧
الأهداف المنشودة ٢٦٧
تمهيد ٢٦٧
٦-١ الفرزدق ٢٧٠
٦-١-١ قصيدة مدح الإمام زين العابدين (ع) ومناسبتها ٢٧١
الشرح والتحليل ٢٧٣
أسئلة ٢٧٦
٦-٢ الأخطل ٢٧٨
٦-٢-١ قصيدة خفَّ القَطين ومناسبتها ٢٧٩
الشرح والتحليل ٢٨٠
أسئلة ٢٨٣
٦-٣ جرير ٢٨٤
٦-٣-١ قصيدة رثاء زوجته ومناسبتها ٢٨٥
الشرح والتحليل ٢٨٦
أسئلة ٢٨٩
٦-٤ ابو ذؤيب الهذلي ٢٩١
٦-٤-١ قصيدة رثاء أولاده ومناسبتها ٢٩١
الشرح والتحليل ٢٩٣
أسئلة ٢٩٦
٦-٥ كميت بن زيد الأسدي ٢٩٦
٦-٥-١ قصيدة الهاشميات ومناسبتها ٢٩٧
الشرح والتحليل ٢٩٩
أسئلة ٣٠٢
٦-٦ عُمَرُ بن أبي ربيعة ٣٠٢
٦-٦-١ قصيدة المراسلة ومناسبتها ٣٠٣
الشرح والتحليل ٣٠٤
أسئلة ٣٠٧
٦-٧ ليلي الأخيلية ٣٠٨
٦-٧-١ قصيدة رثاء توبة ومناسبتها ٣٠٩
الشرح والتحليل ٣١٠
أسئلة ٣١٢
٦-٨ كُثَيِّر عَزَّة ٣١٣
٦-٨-١ قصيدة في الوصف والغزل ومناسبتها ٣١٤
الشرح والتحليل ٣١٥

أسئلة ٣١٦

الفصل السابع: النثر الفني في العصر الأموي ونماذجه ٣١٩
الأهداف المنشودة ٣١٩
٧-١ الخطابة في العصر الأموي ٣١٩
٧-١-١ نُبذة تاريخية عن امتداد العصر الأموي ٣١٩
أسئلة للتأمل والمناقشة ٣٢٧
٧-١-٢ أنواع الخطابة في العصر الأموي ٣٢٨
أسئلة للتأمل والمناقشة ٣٣٥
٧-١-٣ الخطابة الدينية في العصر الأموي ٣٣٥
أسئلة للتأمل والمناقشة ٣٣٨
٧-١-٤ الخطابة الاجتماعية في العصر الأموي ٣٣٩
أسئلة للتأمل والمناقشة ٣٤٤
٧-١-٥ أسلوب الخطابة في العصر الأموي ٣٤٤
أسئلة للتأمل والمناقشة ٣٤٩
٧-١-٦ أسلوب الخطابة لدى أمراء العصر الأموي ٣٤٩
أسئلة للتأمل والمناقشة ٣٥٢
٧-١-٧ أسلوب الخطابة لدى خطباء الخوارج والشيعة ٣٥٣
أسئلة للتأمل والمناقشة ٣٥٨

الفصل الثامن: الرسائل، العهود، التوقيعات في العصر الأموي ٣٥٩
٨-١ الرسائل الترسلية في العصر الأموي ٣٥٩
٨-١-١ الخصائص الفنية للرسائل الترسلية في العصر الأموي وقيمتها الأدبية ٣٦٠
أسئلة للتأمل والمناقشة ٣٦٤
٨-١-٢ النوع الجديد من الرسائل الأدبية في العصر الأموي ٣٦٤
أسئلة للتأمل والمناقشة ٣٧٠
٨-١-٣ ازدهار العهود والمواثيق في العصر الأموي وأهمّيّتُها ٣٧٠
أسئلة للتأمل والمناقشة ٣٧٢
٨-١-٤ التوقيعات الأموية ٣٧٢
أسئلة للتأمل والمناقشة ٣٧٤

الأجوبة الصحيحة ٣٧٥
المصادر والمراجع ٣٧٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله المصطفى وعلى آله وأصحابه.

أما بعد، فبناءً على الدعوة العامة لمجلس تدوين الكتب الدراسية في جامعة بيام نور، ونظراً لحاجة طلابنا الأعزاء في مرحلة الماجستير إلى كتاب يجمع بين دفتيه بحوثاً ونماذج من النظم والنثر العربي الفني القديم التي تُسهِّلُ عليهم دراسة هذه المادة وفي نفس الوقت يَشحَذُ قُوَاهم التحليلية، استقرَّ العزمُ على تأليف كتاب في مادة «تحليل النظم والنثر من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي» وعلى الرغم من أنه لم يراودنا شكٌ منذ اللحظة الأولى في صعوبة السير في هذا الدرب ووعورته، إلا أننا بدأنا بالعمل أخيراً، متوكلين على الله تعالى، ثم مستعينين ببضاعتنا المتواضعة ومسترشدين بجهود أصحاب الفضلِ والسبَقِ في هذا المجال من العلماء والأدباء والناقدين. ومما زَادَ مِن عزمِنا وقَوَّاه، إيمانُنا بالمثل السائر القديم القائل: ما لايُدرَكُ كلُّه لايُترَكُ جُلُّه. وأخيراً - والحمد لله - أراد الله أن نتقدم إلى القراء الأفاضل نتيجة تلك الجهود، متمثلاً في هذا الكتاب الذي تجدونه بين أيديكم وهو مؤلف من ستة فصول رئيسة وفقاً للعصور التاريخية والأدبية القديمة التي قرَّرَ البرنامج الوزاريُّ أن يَهتمَّ بها هذا المُقرَّر الدراسيُّ وهى العصور الجاهلية، والإسلامية (صدر الإسلام) والأموي. يتألف هذا الكتاب بعد المقدمة من ستة فصول ولكل فصل مباحثَ كما أن كل مبحثٍ مُقسَّمٌ على دروس، وبيان ذلک كالآتي:

التمهيد، وندارس فيه موضوعات مختلفة مثل: بزوغ الشعر الجاهلي، خصائص الشعر الجاهلي، وقيمة الشعر الجاهلي.

الفصل الأول: الشعر والشعراء في العصر الجاهلي، ويضمن ثلاثة مباحثَ؛ **المبحثُ الأول**: يتناول من شعراء الصعاليک الشنفرى فقط تجنُّباً لإطالة الكلام وازدياد الصفحات. **المبحثُ الثاني**: ويندرج تحته أصحاب المعلقات مثل: امرؤ القيس، طرفة بن العبد، زهير بن أبي سلمي، لبيد بن ربيعة، عمرو بن كلثوم، عنترة بن شدّاد، حارث بن حلّزة. المبحثُ الثالث: ويضمن شعراء جاهليين آخرين، مثل: عبيد بن الأبرص، النابغة الذبياني، الأعشى الأكبر، عديُّ بن زيد، حاتم الطائي، سمَوئَل بن عادياء، علقمة الفحل، دُريد بن صمّة.

الفصل الثاني: النثر الفني في العصر الجاهلي، ويضمن مبحثين؛ **المبحثُ الأول**: وعنوانه النثر الفني في العصر الجاهلي؛ قضاياه وأغراضه، يندرج تحته درسان؛ الدرس الأول: الجاهلية مفهومها وزمنها، والدرس الثاني:قضية الشک في النثر الجاهلي والأنواع الأدبية النثرية في الجاهلية وتطورها على مرّ العصور. **المبحثُ الثاني**: وعنوانه أنواع النثر الفني في العصر الجاهلي ونماذجه، ويندرج تحته خمسة دروس: الدرسل الأول: الأمثال والحكم الجاهلية. الدرس الثاني:سجع الكُهّان. الدرس الثالث: الخطابة الجاهلية وأنواعها. الدرس الرابع: الوصايا الجاهلية. الدرس الخامس: الرسائل الترسلية، العهود والمواثيق الجاهلية.

الفصل الثالث: الشعر والشعراء في العصر الإسلامي، في هدا الفصل نقوم بتحليل الشعر في العصر الإسلامي، وشعراء هذه الفترة، مثل كعب بن زهير، حسّان بن ثابت، الخنساء، الحطيئة.

الفصل الرابع: النثر الفني في العصر الإسلامي ونماذجه؛ ويضمن هذا الفصلُ مبحثين: يهتم **المبحثُ الأول** بالنثر الفنِيِّ في صدر الإسلام؛ تطوراته وقضاياه. وأما **المبحثُ الثاني** يتناول النثر الفنّيَّ في صدر الإسلام ونماذجه.

الفصل الخامس: تحت عنوان الشعر والشعراء في العصر الأموي، يتناول شعراء العصر الأموي، مثل: الفرزدق، الأخطل، جرير، أبو ذؤيب الهذلي، كميت بن زيد الأسدي، عُمَرُ بن أبي ربيعة، ليلى الأخيلية، وكُثَيِّر عَزَّة.

الفصل السادس: وهو المعَنوَنُ بـ«**النثر الفني في العصر الأموي ونماذجه**» والمقسوم على مبحثين نظرية وتطبيقية، يهتم **المبحثُ الأول** بطرح المباحث الكلية والتاريخية **والمبحثُ الثاني** يتناول الأغراض النثرية السائدة في العصر الأموي بالعرض والبحث كما يأتي بنماذج من أروع ما بقى لنا من منثور هذا العصر مذيلاً بهوامش وإيضاحات. ومن

الجدير بالذكر أن المباحث في الفصول التي تعالج قضايا النثر، مقسَّمَةٌ على دروس لتبسيط المباحث وحسن ترتيبها، وأما الدروس فمبدوئة –دائماً- بعروض وبحوث مستندة موثَّقة بذكر نماذج نثرية رائعة ومُذيَّلةٌ في النهاية بأسئلة هامة للتأمل والمناقشة.

ومن أهم المصادر التي استفدنا منها في استخراج النصوص النثرية القديمة، لاسيما الخطب والرسائل ونثر الكهان منها، كتاب «جمهرة الخطب العرب في العصور العربية الزاهرة» وكتاب «جمهرة رسائل العرب» لأحمد زكي صفوت المصري وكان المعوَّل في استخراج باقي النصوص والنماذج النثرية لكل من العصور الثلاثة على مصادر أصيلة جداً وقديمة كالقرآن الكريم، نهج البلاغة، مصادر الحديث الشيعية والسنّية، البيان والتبيين، مجمع الأمثال، العقد الفريد، تاريخ الطبري، الكامل في التاريخ لابن الأثير، الأغاني، سيرة ابن هشام وصبح الأعشى للقلقشندي.

ومن أبرز الكتب والمراجع المعاصرة القيمة التي أفادتنا جداً في تبيين الجوانب النظرية وعند البحث والحديث عن قضايا النثر العربي الكلاسيكي بمختلف عصوره، تجدر الإشارة إلى كتابَي تاريخ الأدب العربي والفن ومذاهبه في النثر العربي للدكتور شوقي ضيف، وكتاب «في الأدب الجاهلي» للدكتور طه حسين، والبحث القيم للأستاذ محمود المقداد «تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية» وكتاب «مراحل تطور النثر العربي في نماذجه» للكاتب الفذ الدكتور علي شلق وغيرها كثير.

هذا، ولاندعي الكمال لنتيجة هذا الجهد المتواضع، إذ لا نُبرِّئُ النفسَ عن القصور أو التقصير ولايُتوقَّعُ الكمالُ إلا من الله تعالي وحده، إلا أنه بمثابة جهد المُقلِّين وعطاء المُعدِمين؛ فما أجمل أن يتفضل علينا القراء الأعزاء من ذوي الفضل والفطنة بإرسال آرائهم النقدية القيمة إلينا والشكر موصول لهم سابقاً وسابغاً.

الدكتور قادر قادري - الدكتور محمد رضا ميرزانيا

تمهيد

اختلفت المصادر الأدبية في تحديد الوقت الذي نشأ فيه الشعر العربيُّ، فإنّ من أصعب المهمّات على الإطلاق تتبّع ولادة الشعر وفطامه ونشأته، فعندما وصل إلينا هذا الفن كان مخلوقا سويا تجاوز مرحلة الطفولة، فالشعر مثله مثل الفنون الأخرى نشأ بدافع من حاجة الإنسان إليها للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه وهمومه وهذه الحاجة إلى التعبير عن مكنونات الإنسان هى حاجة غريزية تخلق معه وترتقي كلما ارتقى وارتقت حاجاته. وإذا بحثنا عن مبادئه، وجدنا أنّ مباديء هذا الأدب عامّة لايزال في مجاهل التاريخ. وأمّا مبدأ قول الشعر وأوّل من قاله قد خفى علينا كأكثر الأمم.

ولاريب في أنّ المراحل التي قطعها الشعر العربي حتى استوى في صورته الجاهلية غامضةٌ، فليس بين أيدينا أشعار تصوّر أطواره الأولى، إنّما بين أيدينا هذه الصورة التّامة لقصائده ب تقاليدها الفنية المعقّدة في الوزن والقافية وفي المعاني والموضوعات وفي الأساليب والصياغات المحكمة وهى تقاليد تلقي ستاراً صفيقاً بيننا وبين طفولة هذا الشعر ونشأته الأولى فلا نكاد نعرف من ذلک شيئاً. وحاول ابن سلّام أن يرفع جانباً من هذا الستار فعقد فصلاً تحدّث فيه عن أوائل الشعراء الجاهليين وتأثّر به ابن قتيبة في مقدمة كتاب الشعر والشعراء فعرض هو الآخر لهؤلاء الأوائل وهم عندهما جميعاً أوائل الحقبة الجاهلية المكتملة الخلق والبناء في صياغة القصيدة العربية. وكأنّ الأوائل الذين أنشأوا هذه القصيدة في الزمن الأقدم ونهجوا لها سننها، طواهم الزمان.

ومن الباحثين من ينسب بداية قول الشعر إلى نبي الله آدم (ع) ولعلّهم نظروا إلى قوله تعالي: «وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسمَاءَ كُلَّهَا» (البقرة/٣١) فاستنتجوا بأنّ الشعر مما عُلِّمَ آدَمُ،

ولذلک نسبوا بعض الأبيات والقطع الشعرية إليه، وكذلک بعض الأشعار إلى الإبليس وبعض الملائكة. (القرشي، بلاتا، ج٣٢: ١)

أمّا محمد بن إسحاق فنسب الشعر إلى العمالقة وعاد وثمود. وحين يسأل عن ذلک يقول: لا علم لي بالشعر وإنّما أوتي به فأحمله. (الجمحي، بلاتا، ٥) فهذان الرأيان مرفوضان لأنّ آدم (ع) لم يكن عربي اللسان وكذلک لغة عاد وثمود غير عربية. أمّا الجاحظ فيقول في «الحيوان» عن نشأة الشعر: قد قيل الشعر قبل الإسلام في مقدار أطول مما بيننا وبين أوّل الإسلام. (الحيوان، بلاتا، ج٥٧: ٦). وفي موضع آخر يقول: أمّا الشعر فإنه حديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه، امرؤالقيس ومهلهل بن ربيعة. (نفس المرجع: ١٠٦)

ولا يمكن الاعتماد على رأي الجاحظ لأنّه متناقض في أقواله، وكذلک قدّم امرؤالقيس على المهلهل وهو خاله وأكبر منه عُمراً وأقدم منه. كما أنّه اختصّ بذكرهم دون سواهم من الشعراء في حين زعم البكريون أنّ عمرو بن قميئة بن سعد البكري أول من قال الشعر وقصد القصائد. وأما انتساب الشعر إلى آدم وإبليس والملائكة والجنّ والعرب البائدة فهو حديث لايعتمد عليها. فقد جاء في طبقات الشعراء «أنّه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلّا أبيات يقولها الرجل في حاجته وإنّما قُصّدت القصائد وطُوّل الشعر على عهد عبدالمطّلب وهاشم بن عبدمناف وذلک يدلّ على إسقاط شعر عادٍ وثمود وحمير وتبّع. (الجمحي، بلاتا، ج٢٦: ١)

والشعر الذي صحّت روايته منذ أواسط القرن الثاني قبل الهجرة ينتهي أقدم مطوّلاته إلى مهلهل بن ربيعة وأشار إلى هذا صاحب طبقات الشعراء حيث يقول: «وكان أوّل من قصّد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل قتلته بنو شيبان» (نفس المرجع ٣٩) والآن يجدر بنا أن نلقى نظرة على آراء حول بواعث نشوء الشعر في مراحله الأولية. وفيما يأتي نشير إلى أهم ما أشار إليه الباحثون:

أ) الدافع الذاتي لتخليد الأثر:

قال الجاحظ عن الهيثم بن عدي وابن الكلبي: «فكلّ أمةٍ تعتمد في استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلک على الشعر الموزون والكلام المقفّى وكان ذلک هو

ديوانها» فالجاحظ يضع الشعر من العرب في تخليد آثارهم موضع البناء من العجم في أداء هذه الغاية نفسها (الجاحظ، ١٤٢٤هـ. ق: ٥١).

ب) نظرية العمل:

وطائفة أخرى من الباحثين عندما يذكرون بواعث نشوء الشعر في مراحله الأولية، يشيرون إلى نظرية «العمل» النظرية التي تقول: «إنّ حركات العمل الطبيعية المنتظمة لاسيما حركات العمل الجماعي كانت تحثّ من تلقاء نفسها على التغنّي بأغانٍ موزونة وميسرة له تيسيراً نفسياً. وقد رويت عن العرب أشعار تصحب العمل كإنشاد الصحابة لدى حفر الخندق» (آذرشب، ١٣٨٦: ٣٥)

ت) نظرية السحر:

قال بهذه النظرية معظم المستشرقين والذي يسندها وجود العلاقة بين الشعر والسجع الذي يقال إنّه لغة الكهّان والسحرة، إضافة إلى ما ورد على ألسنة بعض الشعراء من وجود شياطين يستلهمون منهم القوى الخفية. ومن نقاد العرب القدامى هناک من يرى أنّ بداية الشعر الجاهلي كان من السجع وهو الطور الأول من أطوار الشعر العربي. يقول أحمد حسن الزيات نقلا عن الباقلاني: «والمظنون أنّ العرب خطَوا من المرسل إلى السجع ومن السجع إلى الرجز، ثمّ تدرجوا من الرجز إلى القصيدة، فالسجع هو الطور الأول من أطوار الشعر توخّاه الكهّان مناجاةً للآلهة وتقييداً للحكمة وتعمية للجواب وفتنة للسامع. وكهّان العرب ككهّان الإغريق هم الشعراء الأولون» (زيات، ٢٠٠٧م: ٣٨)

ث) نظرية الغناء:

إنّ التغنّي بالشعر ظاهرة تشترک فيها كلّ الشعوب؛ فاليونان والرومان يقولون: غنّى شعراً لا نظم شعراً. والعرب تقول: أنشد شعراً أى غنّاه. ويذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أنّ الشعر العربي نشأ نشأة غنائية. وعلى رأي القائلين بهذه النظرية إنّ الشعر انحدر أصله من الغناء كما نشأ فن الشعر لدى باقي الأمم. ويروى أنّ هوميروس الشاعر العظيم كان يلحن شعره ويغنّيه، يقال إنّ الأعشى أيضا كان يتغنّى بأشعاره فسمّى«صنّاجة العرب» ويقول حسّان بن ثابت:

تغـــنّ بالشـــعر إمّـــا كنـــت قائلـــه إنّ الغنـــاء لهـــذا الشـــعر مضـــمار

وعندما كانوا يقولون: أنشد الشاعر قصيدة، ربّما كانوا يقصدون غنّاها، لأنّ الإنشاد يعني لغويا نوعا من الغناء ومن هنا كلمة النشيد.

ج) الفطرة الأدبية:

يقول بروكلمان: إنّ محض السرور بكلمة صائبة تأخذ قالبها المناسب أمر يمكن ملاحظته عند الشعوب البدائية ويؤيد هذه النظرية في نشأة الشعر العربي كثرة الأصوات الموسيقية للشعر. وكثرة التشبيهات في القصيدة الجاهلية مما يدلّ على أنّ الشاعر قصد الفنون الأدبية لذاتها. (آذرشب، ٣٦: ١٣٨٦)

ح) نظرية الإنشاد:

والقائل بهذا الرأي وهو ما يشير إليه البستانى يعتقد بأنّ شعراء الجاهلية وخطباؤها وكهّانها لم يكونوا شعراء ولا ناثرين في قصائدهم وخطبهم وأسجاعهم. لم يكن هؤلاء شعراء ولا ناثرين بالمعنى الحاضر لأنّهم لم يكونوا ليشعروا بالفرق بين الشعر والنثر. إنّما كان لهم نوع واحد من الإنشاد الفنّي الأدبي يؤثر في السامعين فيحملهم على الانتباه فالإصغاء فالتأثر فالحفظ إلى ماشاء الله ألا وهو الإنشاد. كان فنهم إنشاداً وهم كانوا منشدين. ومن حق القارئ أن يسأل ما هو الانشاد؟

فيجاب أنّ لفظة الإنشاد تستعمل للدلالة على هذا النوع من الإنشاء الشفهي أو من التعبير الفنّي الذي كان يستند فيه الخطيب أو المنشد إلى عناصر حسية وخيالية وموسيقية تقرّه في الأذهان معتمداً أولاً على ذاكرته ثمّ تأثر الحاضرين. هذا من جهة المعنى أمّا من جهة المبنى أو الإخراج المادي فقد كان يستند المنشد إلى أسهل الأساليب البديعية علوقاً بالإذان وأقربها إلى الأنغام الشعبية العامة وهى التضاد والطباق والمقابلة بين التعابير والمقاطع والسجع خصوصاً فإنّ السجعات كانت بمثابة محطات إنشائية يقف عندها المنشد والسامع فيستريحان. (البستاني، ١٩٨٦، ج٢: ١٢)

ويأتي التاريخ بمعلوماته المتفرّقة المبدّدة فيفيدنا بعد جهد أنّ العرب الجاهلييين لم يكونوا يتميزون في إنشادهم بين الشعر والنثر بالمعنى الذي نفهمها به اليوم. أجل إنّهم كانوا يسمّون منشدهم شاعراً وإنشادهم شعراً بيد أنّ هذه اللفظة لم يكن لها من المعنى ما حدّدناها به في عصرنا حتى أصبحت تخالف معنوياًّ ما كان يقصد بها بل أصبحت تضيق عمّا كانت تتّسع له.

والحقّ أنّ هذه التصورات إنّما هي فروض ظنية، لأنّنا لا نملک دليلاً يؤكّد أنّ الشعر العربي قد بدأ بالسجع وأنّ الرجز قد تطوّر عن السجع الموزون ومن ثمّ تفرّعت عنه البحور الشعرية.

ومن المتأخرين من يعتقد أنّ ميلاد الشعر العربي لايكون أكثر من مائتي سنة قبل الهجرة. يقول مصطفي صادق الرافعي: «والذي عندنا أنّ أوّلية الشعر العربي لا ترتفع عن مائتي سنة قبل الهجرة ولا يذهب عنک أنّنا لا نريد بالشعر التصورات والمعاني، فهذه فطرية في الإنسان ولابدّ أن تكون قد استقلّت طريقتها في العرب من أقدم أزمانهم إلى ماوراء ألفَي سنة قبل الميلاد. وكذلک لانريد بالشعر مطلق ما اصطلحوا على وصفه من ذلک. فهذا قد يكون منه شيء في العدنانية قبل الميلاد أوحواليه ولكنّه بغير اللغة المضرية طبعاً وإنّما نريد بالشعر هذا الموزون المقفّى باللغة التي وصلت إلينا وكلّ بحث فيما وراء ذلک لا يتعلّق بهذه اللغة نفسها» (الرافعي، ١٤٢٥، ج١٤: ٢)

والحقّ أنّه ليس بين أيدينا شيء من وزن أو غير وزن يدلّ على طفولة الشعر الجاهلي وحقبه الأولى وكيف تمّ له تطوّره حتى انتهى إلى هذه الصورة النموذجية التي تلقانا منذ أوائل العصر الجاهلي أو بعبارة أخرى منذ أوائل القرن السادس الميلادي. ومن المحقّق أنّه فقد كثير من الشعر الجاهلي، إذ عدت عليه عوادي الرواية وتلک الرحلة الطويلة التي قطعها من الجاهلية إلى عصور التدوين. ويروى عن أبي عمرو بن العلاء أنّه كان يقول: «ما انتهى إليكم ممّا قالته العرب إلّا أقلّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير» (الجمحي، بلاتا، ج١: ٢٣)

ونحن لانبالغ مبالغة أبي عمرو، فقد بقى منه كثير ألّفت فيه مجلّدات ضخام، إذ حافظت القبائل بكلّ ما استطاعت على قصائده الطوال ومقطّعاته القصار وكثير من أبياته المفردة ومازالت تحافظ عليه حتى أسلمته إلى أيدي رواة أمناء سجّلوه ودوّنوه.

وهناک باحثون ممّن يذهبون مذاهب أخرى في كيفية نشأة الشعر العربي وبواعثها نتركهم متمسكّين بما اعتمد عليه أكثر المؤرخين والباحثين وهو أنّ الشعر الجاهلى نشأ في بوادي نجد والحجاز وما إليهما من شمالي الجزيرة العربية. والبادية هي أوّل مدرسة تنشّأ فيها الشعراء النابهون ممن كانوا من أصل يمني رحل إلى الشمال كامرئ القيس الكندي وحاتم الطائي أو ممن كانوا من أصل عدناني نشأ فيهاكالمهلهل وطرفة والأعشى والنابغة وزهير ولبيد. فمهما يكن من شيء فإنّ البادية مهبط وحي الشعر وللشعر فيها مقام رفيع

وتأثير فهو الترجمان عن أحاسيس النفس وهو لسان القبيلة وسجّل أخبارها ومآتيها بينما الحاضرة من مثل مملكة الحيرة ومملكة غسّان صادفة عن الشعر إلى السياسة وبثّ النفوذ فاتحة مجالاً واسعاً للثقافات الأجنبية والحضارات الغربية تهتمّ لجمع الشعراء في بلاطها ولكنها لم تكن أرضاً خصبة ينمو فيها الوحيُ والخيال. (آذرشب، ١٣٨٦: ٥٩)

وأمّا عن أسباب ضياع الشعر العربي القديم فيمكن أن يقال إنّ القسم الأوفر منه ضاع بعوامل مختلفة؛ مثل: ترک تدوينه، هلاک نفر کثير من رواته في الهجمات وفي الفتوح بعد الإسلام وتشاغل الناس عن روايته بالدين والفتوح.

خصائص الشعر الجاهلي:

يتمتّع الشعر الجاهلي بعدّة مزايا وخصائص تُميزه عن غيره من الشعر وهذه الخصائص هى:

❖ **من الناحية المعنوية:**

- **الطابع البدوي والصلة بالبيئة:**

فالشعر الجاهلى يعتبر مرآة لحياة البادية بمختلف نواحيها حيث صوّر في مضمونه المعالم الجغرافية والظواهر الكونية والنباتات بالإضافة إلى وصف حيوانات البادية ونظام المجتمعات البدوية من البيوت والديار والقوافل. وقد ساهَم ذلک في وسم الشعر الجاهلي وتحديد أفقه في إطار البيئة ممّا أدّى إلى التشابه في الأفكار بين الشعراء وتكرار المفردات والمعاني وقد ظهر أثر الطابع البدوي واضحاً في الشعر الجاهلي وفي طبائع شعرائه.

- **الواقعية والوضوح:**

استطاع الشعر الجاهلي تقديم صورة بسيطة واضحة وواقعية للبيئة بحيث تناسب هذا التطوّر مع الفطرة البدوية والمجتمع البدوي، كما أنّ الوضوح والبساطة عنصران يدلّان على عقلية هادئة ومستقرّة لاتعتليها الفلسفة أو الغموض. والبساطة التي نقصدها هنا هي ليست السذاجة. فالشعر الجاهلي يدلّ في مضمونه على الصفاء الذهني والرقي العقلي والمقدرة على كتابة الشعر وصياقة معانيه على النحو الأمثل.

- **الايجاز:**

لجأ شعراء الشعر الجاهلي عند نظمه إلى تجنّب التأمل والإطالة في مضمون الشعر فالطبيعة والحياة البدوية كانت سريعة وذات حركة دائبة ومستمرّة.

- **البساطة في التفكير:**

حيث تضمّن الشعر الجاهلي تراكيب ومعانٍ بسيطة لايعتليها التعقيد أو الغموض بحيث تناسب هذه البساطة في المعاني مع حياة الشعراء وأسلوب تفكيرهم. لذلك نجد أنّ الشعر الجاهلي تضمن مواضيع تمتاز بالحسية أو المادية وابتعدت عن الآفاق المعنوية.

- **الحياة والحركة:**

تميزت الصورة الشعرية في الشعر الجاهلي بالحركة ومطابقتها للواقع وهي تشبه في ذلك الأجسام الحية التي تتحرّك وتدور وتجري وتتكلّف في بعض الاحيان.

- **الروح الجماعية:**

تظهر الروح الجماعية واضحة في الشعر الجاهلي لأنّ الشعراء تحدّثوا في معظم أشعارهم عن القبيلة، فكانت هذه الأشعار تتضمّن صيغة الجمع كما أنّ النواحى الشخصية ظهرت في الشعر الجاهلي إذ أنّه شعر وجداني إلا أنّه مع ذلك لم تطغَ الناحية الشخصية على الناحية الجماعية في الشعر الجاهلي.

❖ **من الناحية الشكلية:**

- **المحافظة على التقاليد الشعرية:**

حيث التزم الشعراء عند نظمهم للشعر بمجموعة تقاليد محددّة في مختلف قصائدهم. ومن هذه التقاليد الوقوف على الأطلال، والبكاء وخطاب الآثار أو الأصدقاء ثم وصف الشاعر لحاله بسبب رحيل الحبيبة ووصف جمالها وبعد ذلك ينتقل إلى غرضه الرئيسي في القصيدة ويتميز الشاعر الماهر عن غيره من الشعراء في حسن الربط بين هذه الموضوعات والانتقال بسلامة فيما بينها.

- **العناية بالألفاظ:**

إنّ شعراء الجاهلية خاصّة أصحاب الحوليات يمنحون اهتماماً كبيراً للألفاظ الشعرية في